تاريخ العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي

١٦٣٠ - ١٧٦٠

الدكتور محمود علي الداود

مقـــدمة :

يقول المؤرخ البرتغالي البوكرك عن عوامل انهيار النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ما نصه : « هنالك ثلاثة مراكز في الهند تعتبر المفاتيح الرئيسية لتجارة الشـرق والسيادة على التجارة العالمية وهي ما لقا عنـد مخرج مضايق سنغافورة ، وعدن ، عند مدخل ومخرج البحر الاحمر • والمركز الثالث هو هرمز عند مدخل ومخرج مضايق الخليج الفارسي • وتعتبر مدينة هرمز ، حسب ما اعلم ، أهم هذه المراكز جميعها • ولو كتب لملك البرتغال السيطرة على عدن وتحصينها بقلعة قوية لاصبح سيد الموقف في آسيا بدون منازع • ولو سيطر على هذه المراكز الثلاث في الشرق لاصبح سيد العالم ، كما أصبح الاسكندر قبل ذلك عندما توغل الى قلب سهول الـكنج ، وأصبح بامكانه غلق جميع الابواب المؤدية الى الشرق بوجه كل طامع في البحار الهندية »[١] • وحتى يعوض البرتغاليون عما حل بهم من انتكاسات جعلوا مسقط ، على الساحل المقابل ، مركزا لنشاطهم في الخليج العربي وبنوا حصونا قوية فيها ، وهكذا أصبحت مسقط مرة أخرى مركزا تجاريا بالاضافة الى كونها مركزا للتبشير المسيحي هناك منذ أوائل أيام البرتغاليين في هذه المنطقة • ولـكن مسقط لم تبرهن على كونها مركزا حصينا وذلك لان ضربات عرب عمان لم تنقطع عليها من الجبل الاخضر وسهل الباطنة • وقد حاول البرتغاليون كذلك الاحتفاظ ببعض نفوذهم في البصرة وقد كتب الرحالة الذائع الصيت فارايا سوسة[٢] ان البرتغاليين

---

(1) Alblqurque, Affonode, "The Commentaries of the Great Afonso Dalbo Qlerque". Vol IV. Hakl. Soc. 1815. p. 185.

(2) Faria Y Sousa "The Portugues Asia" The History And Discovery of India. 1695. p. 2.

اوجدوا فى البصرة وكالة تجارية ومدرسة للعلوم الدينية المسيحية • وظل البرتغاليون الى سنة ١٦٤٠ فى منافسة دائمة مع التجارة الانكليزية فى تلك المدينة •

ان المسؤول الاول عن توطيد النفوذ الهولندى فى الخليج العربى هو الرحالة (Jan Van Linsc Hoten) الذى قدم معلومات قيمة عن تجارة الهند الشرقية فى نهاية القرن السادس عشر • وظل الملك الاسبانى فيليب الثانى يحاول القضاء على التجارة الهولندية وذلك بوضعه قيودا صارمة بعرقلة جميع العلاقات التجارية بين هولندا والهند وكان الطريق التجارى الوحيد الذى تستطيع بواسطته البيوتات التجارية الهولندية الاتصال بالهند هو طريق ليشبونة غير المباشر • لقد كان هدف فيليب الثانى هو منع الهولنديين من أى اتصال مع المستعمرات البرتغالية فى الشرق • وقد ولدت هذه السياسة رد فعل قوى فى نفوس الهولنديين الذين أصبحوا الآن أكثر تشوقا للوصول الى البلاد لشرقية بصورة مباشرة • وقد ذهب لينشوتن الى الهند فى ١٥٨٣ مع رئيس اساقفة گوا وقد بقى هناك ما يقارب ١٣ سنة • وقد جمع معلومات هائلة عن المنتوجات الهندية وطرق المواصلات • وبعد ان رجع الى هولندا فى ١٥٩٢ قام بطبع المعلومات التى حصل عليها أثناء بحوثه والحقها بمعلومات بحرية مهمة عن الطريق البحرى من ليشبونه الى الهند مستعرضا حركة السفن والرياح والموانىء والجزر مع الخرائط المهمة[٣] • وبعد رجوع لينشوتن الى امستردام بمدة قصيرة أرسل تجار هذه المدينة المدعو (Cornelis Houtman) الذى سبق له ان سافر على ظهر السفن البرتغالية الى الهند ، الى ليشبونه لدراسة أحوال التجارة الشرقية ورفع تقرير مفصل عنها • وقد اقترح بعد رجوعه الى هولندا ان يسير اسطول هولندى الى الهند عبر رأس الرجاء الصالح تحت قيادته • وقد رجع الى هولندا فى ١٥٩٧ بعد ان خسر ٢/٣ ملاحيه وسفينة واحدة وقام بتجارة محدودة جدا • ولكنه

---

(٣) لقد ظهرت ترجمة لكتاب لينشوتن بالانكليزية فى عام ١٥٩٨ لا تزال محفوظة فى المتحف البريطانى بعنوان :

"The Voyage of John Van Linschoten to the East Lndies".

حقق انتصارا مهما بعقده أول اتفاق هولندى مع ملك بانتام وبذلك فتح ارخبيل جزر الهند الشرقية للتجارة الهولندية •

وازداد عدد الاساطيل الهولندية الذاهبة الى الشرق حتى بلغ عددها بين ١٥٩٨ – ١٦٠١ ما يقارب ١٥ اسطولا وقد قام الهولنديون بالاستيلاء فعلا على بعض المستعمرات البرتغالية فى الهند (خلال الوحدة البرتغالية الاسبانية ١٥٨٠ – ١٦٢٠) وارغموا البرتغاليين تسليم مراكزهم فى الهند نهائيا • ان نجاح هوتمان ادى الى ظهور مؤسسات هولندية تجارية والتى توحدت فى ١٥٩٧ تحت اسم « جمعية التجارة مع البلاد البعيدة » أو "The Society For Trade to Distant Countries."

ومنذ ذلك التاريخ سارت نشاطات الشركة الهولندية جنبا الى جنب مع النجاح الذى احرزه التجار الانكليز • وفى ١٦٠٢ اسست الدوليات الهولندية مايعرف بشركة الهند الشرقية الهولندية أو "The Dutch East India" Company.

وقد أصبحت الشركة المذكورة قوة وطنية مهمة تتاجر بين هولندا والشرق قبل ان تدخل سفينة هولندية واحدة الى مياه الخليج العربى • وفى ١٥٩٩ رفع الهولنديون ، بصورة فجائية ، أسعار الفلفل ضد الانكليز من ٣ شلنات للباون الواحد الى ستة شلنات ثم الى ثمانية شلنات • وقد حدث هذا بعد التقرير الذى نشره الرحالة الانكليزى رالف فيتج "Ralph Fitch" (٤) • ولكن مصلحة الانكليز والهولنديين اتفقت على مقاومة البرتغاليين وهذا ما حصل بالفعل فى معركة ١٦٢٥ عند هرمز •

« دور النشاط الهولندى »

ان زوال النفوذ البرتغالى فى الخليج العربى لم يترك الانكليز اسياد الموقف فى تلك المياه ولم تنعدم المنافسة التجارية والسياسية ، فبينما انهار مركز البرتغال أخذت قوة هولندا تستمر على مر الزمن • لقد كانت

(4) Curzon, G. N. "Persia & the Persian Question. "Vol. II. p. 418.

السياسة الهولندية فى فارس تهدف الى احتلال مركز الانكليز الذى عملوا على تأسيسه منذ مدة طويلة وضحوا من أجل تركيزه الكثير من المال والرجال ، وقد استعمل الهولنديون الرشوة ودفعوا أسعارا عالية للبضائع الفارسية لتحقيق هذا الهدف • ولم يتقدم رجال شركة الهند الشرقية فى ١٦٣٣ بأى طلب لاجل عقد اتفاق جديد مع الشاه حول احتكارات تجارة الحرير خوفا من ان يتقدم الهولنديون بمطاليب مماثلة • وقد امتازت وكالة شركة الهند الشرقية فى فارس خلال هذه الفترة بالفساد ووجود شخصيات انكليزية أخذت تهمل مصلحة الشركة وتركز على جيوبها الخاصة • وكان الوكيل البريطانى فى اصفهان ، بعد وفاة كيبسون "Gibson" ، لا يتردد فى استعمال أموال الشركة لتقديم القروض الى التجار الهولنديين ، وبذلك ساعدهم على شراء الحرير وعلى مزاحمة التجارة الانكليزية • وكان التجار الهولنديون ، فى هذه الفترة ، فى حالة مالية مزرية حتى بلغ ما استقرضوه من تجار الارمن فى فارس ما يزيد على ١٠٠٫٠٠٠ باون انكليزى • وقد ذكر لنا الرحالة « مانديلسو »[٥] Mandelso الذى زار بندر عباس فى ١٦٣٨ عن وجود وكالتين تجاريتين فى تلك المدينة احدهما انكليزية والاخرى هولندية كما ذكر لنا كذلك بان تجارة التوابل كانت احتكارا للانكليز والهولنديين الذين تمكنوا من الحصول على فرمان يعفيهم من ضريبة الاستيراد • وكانت هولندا تملك فى الفترة ١٦٣٩ – ١٦٤٠ أكثرية البواخر والبضائع فى ميناء بندر عباس ، ولكن التجار الانكليز ، رغبة منهم فى عدم السماح للوكالة الهولندية بالانتصار عليهم أجلوا اطاعة الاوامر التى كانت قد صدرت اليهم حول غلق مؤسسات شركة الهند الشرقية فى اصفهان • وفى ١٦٤١ كان الهولنديون ، رغبة منهم فى مقاومة الاحتكارات الانكليزية ، يبيعون البضائع الاوربية بأسعار أقل من الكلفة • وفى ١٦٤٥ أخذ الهولنديون ، الذين كانوا يعملون على تركيز نفوذهم فى

---

(5) Mandelso, J. A, "The Voyages and Travels into East Indies, From 1638—40" Enclish Translation By. John Davies. 1662.

فارس ومستعملين لذلك مختلف الوسائل بما فى ذلك القوة العسكرية ، وقد أرسلوا اسطولا ضخما الى الخليج العربى تحت قيادة الكومادور بلوك[٦] "Commodore Block" • وكان الغرض من وراء هذه الحملة هو اشاعة الخوف والهلع فى قلوب السلطات الفارسية واظهار قوة الاسطول الهولندية ، وبالفعل طالب الكومادور السابق الذكر من السلطات الفارسية وجوب اعادة مبلغ ٤٩٠٠ تومان الى الوكيل الهولندى بحجة ان الامتيازات التى منحهم اياه الشاه قد اعفتهم من الضرائب • وقد زادت الحملة العسكرية من شقة الخلاف الفارسى ـ الهولندى وغدا احتمال اصطدام مسلح بين الطرفين وشيك الوقوع حتى ان شركة الهند الشركة الانكليزية اسرعت بنقل بضائعها من ميناء بندر عباس الى ميناء البصرة وقد اكملت هذه العملية الشاقة فعلا فى تموز ١٦٤٥ • وقد فشلت جميع المفاوضات بين فارس وهولندا وفى أيلول من تلك السنة هاجم الاسطول الهولندى جزيرة قشم ، وبالرغم من فشلهم فى الاستيلاء على الجزيرة وفقدهم عددا كبيرا من الرجال الذين لاقوا حتفهم نتيجة لارتفاع درجات الحرارة الهائل ، ولكن الشاه الفارسى طلب الهدنة وكان على استعداد لتقبل جميع مطالب التجار الهولنديين • وقد توفى الكومادور بلوك فى اصفهان التى كان قد سافر اليها بترخيص من الشاه ، ولكن قبل وفاته كان قد قابل الشاه وكان من نتيجة تلك المقابلة المرضية ان حصل الهولنديون على اجازة بتصدير الحرير من أى بقعة من بلاد فارس وبدون ضريبة •

ـــ وقد وسع الهولنديون نطاق حربهم التجارية مع الانكليز الى العراق وأرسلوا بالفعل اسطولا مؤلفا من ثمانى سفن الى البصرة ، وقد نجحت هذه الحملة فى تحطيم الوكالة الانكليزية التى كانت قد تأسست هناك حديثا • وقد وصل النفوذ الهولندى فى الخليج العربى قمته فى ١٦٤٩ وأصبح من المحتمل حصولهم على امتيازات جديدة من الحكومة الفارسية التى أصبحت تخشى بأسهم • وقد استمرت القوة الهولندية فى الزيادة وقد

(6) Bruce, C. LE, "Annals of the Honourable East India Company" 1810. Vcl i. p. 411.

شجعها على ذلك طرد البرتغاليين من ميناء مسقط ، وقد ذكرت لنا التقارير الرسمية ان عدد سفن الاسطول الهولندى الذى زار بندر عباس فى ١٦٥٠ بلغت عشرة وقد انزلت حمولة هائلة من البضائع • وقد ذكر لنا الرحالة الشهير تافيرنيه "Tavernier" (٧) الذى كان يزور فارس فى تلك السنة ان الهولنديين استوردوا كمية من الفلفل والبهارات الاخرى تقدر بـ ١ر٥ مليون باون الى فارس اعطوها ثمنا لكميات كبيرة من الحرير • وفى ١٦٥١ بلغت كمية البضائع التى نقلتها احدى عشرة سفينة تجارية هولندية الى ميناء بندر عباس ما يقارب ١٠٠ر٠٠٠ باون انكليزى ، وقد انتج ذلك انتكاسة فظيعة بالنسبة الى التجارة الانكليزية فى تلك البلاد • وقد أرسل الهولنديون فى الفترة ١٦٥٢ – ١٦٥٣ خمسة عشرة سفينة تجارية الى ميناء بندر عباس محملة بضائع قيمتها ١٢٠ر٠٠٠ باون انكليزى ، مما زاد فى اضعاف تجارة الانكليز • وبالرغم من الانتصارات التى حققتها التجارة الهولندية فى تلك الحقبة من الزمن فى فارس والخليج العربى ، ولكن الشاه لا يزال يمانع فى منح الوكالة الهولندية نفس الامتيازات التى كان قد منحها الى منافسيهم من التجار الانكليز وذلك لان الانكليز – حسب اعتقاد الشاه – قدموا خدمات فعلية الى فارس وخاصة فى حروبها الاخيرة مع البرتغاليين • وعلى هذا فقد فشل المبعوث الهولندى الذى سافر الى اصفهان فى مهمة تتعلق فى اقناع الشاه بمنع الانكليز من الحصول على كميات لا بأس بها من الحرير ، هذا بالرغم من الاستقبال الذى لقيه هذا المبعوث على يد الشاه وحاشيته وبالرغم من الاموال التى صرفها كرشوة فى بلاط الشاه وبالرغم من العوامل المساعدة التى كانت الى جانب الهولنديين •

وفى نفس الوقت كان الحرب قد اشتعلت بين هولندا وانكلترا فى القارة الاوربية فى ١٦٥٢ ولكن دون ان تصل انباء اشتعالها الى فارس والخليج العربى والشرق قاطبة الى بعد مدة • والواقع ان جذور الحروب

---

(7) Six Voyages de Jean Bapt. Tavernier ... Through Turquie En Perse, En Aux Indes. 3 Vds.

الانكليزية ـ الهولندية فى القارة الاوربية ترجع بعضها الى الحملات العدائية التى شنها الاسطول الهولندى فى مياه الخليج العربى على النفوذ البريطانى والاحتكارات البريطانية فى فارس ، بالاضـــافة الى الاضرار المباشرة التى الحقها الهولنديون بمصالح شركة الهند الشرقية الانكليزية • وكان البرلمان الانكليزى قد وافق فى ١٦٥١ على « لائحة الملاحة » "Navigation Act" لاجل تحطيم اسطول هولندا التجارى ، وفى ١٦٥٢ اعلن كروميل الحرب على هولندا • وقد استمرت حرب المنافسة حول السيادة البحرية بين هولندا وانكلترا مدة سنتين • والواقع ان العمليات البحرية والعسكرية فى تلك الحرب لم تكن فى صالح احد الـكفتين المتنازعتين • ولم تسفر الاستراتيجية الهولندية التى رسمها القادة تروم Tromp ورتيـــه "Ruyter" وكـذلك الاستراتيجية الانكليزية التى رسمها كل من مونك Monk وبلاك Black عن أى نتائج حاسمة(٨) • وقد قررت اللجنة الانكليزية ـ الهولندية التى اجتمعت بعد الحرب اعطاء تعويض مقداره ٨٥٫٠٠٠ باون انكليزى الى شركة الهند الشرقية كما اجبر الهولنديون على اعطاء تعويضات أخرى • ان الحرب الهولندية ـ الانكليزية لم تؤثر تأثيرا مباشرا على الاوضاع العامة فى الخليج العربى ، ولـكن نظرا لخلو تاريخ الخليج من حوادث مهمة بين سقوط هرمز ونهاية القرن السابع عشر يمكن اعتبار الحرب المذكورة حدا فاصلا يظهر بدأ تركيز النفوذ البريطانى فى تلك الجهات من جهة واعتبار الخليج العربى نقطة انطلاق مهمة توسع منها البريطانيون الى الهند •

وفى ١٦٦٤ منح لويس الرابع عشر (بناءً على نصيحة قدمها اليه وزير ماليته الشهير كولبرت "Colbert") حق تأسيس شركة الهنـــد الشرقية الفرنسية ، وفى السنة التالية ، أى فى ١٦١٥ ، اصدر البرلمان الانكليزى لائحة ملاحة جديدة وبدأت بذلك حرب انكليزية ـ هولندية جديدة • وقد اعقب الانتصارات الانكليزية التى حققها الاسطول عنـــد "Lowestoft"

(8) The Persian Gulf Gazetteer. Secret. Vol. I. Part. I. Historical. p. 65.

انتصارات هولندية مشكوك فيها فى القنال الانكليزى فى ١٦٦٦ ، وعلى كل حال فقد اجبر الهولنديون على التقهقر الى موانيهم ووضع صلح بريدا "Breda" حدا للاصطدامات المسلحة • وكانت هذه الحرب قد احدثت ، فى الخليج العربى ، رد فعل أقل مما احدثه الحرب الانكليزية ـ الهولندية الاولى فى ١٦٥٢ ـ ١٦٥٤ • وقد حصل رد الفعل هذا فى الهند حيث قامت قطعات الاسطول الهندى بمحاصرة اسطول شركة الهند الشرقية عند سورات •

وبعد فترة وجيزة من هذه الاحداث التاريخية مهدت مطامع لويس الرابع عشر الى اصطدامه بكل من هولندا واسبانيا ، وقد اعلن الحرب على هولندا فعلا فى ١٦٧٢ وتمكن فى ١٦٧٦ من تحطيم حلف من الاساطيل الاسبانية والهولندية فى مياه البحر المتوسط • وقد وقف ملك انكلترا « شارل الثانى » الى جانب فرنسا فى أول الامر وضد هولندا ، وقد حدثت معركة غير حاسمة بين السفن الانكليزية والهولندية فى ١٦٧٢ عند سولبى "Solebay" • ولكن الرأى العام الانكليزى الذى كان معاديا لفرنسا اجبر الملك شارل الثانى على عقد الصلح مع هولندا فى ١٦٧٤ ، وفى نهاية السنين الستة من الصراع انضمت انكلترا مع دول اوربية أخرى الى جانب هولندا التى اعترف باستقلالها رسميا فى ١٦٧٨ وذلك فى صلح نيموجن "Nimwegen" • وفى الدور الثانى من المنافسة الدولية التى بدأت فى ١٦٨٨ تحالفت انكلترا مع هولندا لمعارضة السيادة الفرنسية فى اوربا ، ولكن المصالح الهولندية أتت دوما بالدرجة الثانية فى هذا التحالف بالنسبة للمصالح الانكليزية • وفى ١٦٩٠ هزم الفرنسيون اسطولا انكليزيا ـ هولنديا عند رأس بيجى "Beachy Head" كما تحطمت قطع مهمة من الاسطول الفرنسى فى معركة لاهاى فى ١٦٩٢ • ولكن الحوادث البحرية السابقة لم تمنع الاساطيل الانكليزية المتحالفة من دحر الاساطيل التركية فى الخليج العربى فى ١٦٩٣ • وفى ١٦٩٧ بدت القوة الفرنسية منهارة وبدأ تفكير لويس الرابع عشر الجدى يتجه نحو مشكلة الوراثة الاسبانية وانتهت الحروب التى

انهكت فرنسا بالتوقيع على معاهدة ريزويك "Ryswick" وفى ١٧٠٢ انضمت انكلترا الى جانب التحالف الاكبر "Grand Alliance" ضد فرنسا فى حرب أوربية كبيرة نتجت عن تسوية الوراثة الاسبانية من وجهة نظر لويس الرابع عشر • وقد انتهت هذه الحروب بعد انتصارات مارلبورد فى بلنهايم وبعد سقوط معقل جبل طارق بيد الانكليز بمعاهدة اترخت Utrecht فى ١٧١٢[٩] • والحروب الاخيرة لم تؤثر مباشرة على الاوضاع العامة فى الخليج العربى •

لقد وصلت انباء الحرب الانكليزية الهولندية الاولى الى الهند فسارع الهولنديون الى تشكيل تحالف مع البرتغاليين وذلك لغرض تحطيم التجارة الانكليزية ، ولكن السلطات البرتغالية رفضت قبول الاقتراح الهولندى وذلك لان اقتراحا مماثلا كانت السلطات قد تلقته من الانكليز • ورسم الهولنديون خطة الهجوم البحرى وتمكنوا من الاستيلاء على سفن شركة الهند الشرقية وهى "Roebuck" و "Lanneret" وذلك بالقرب من جسك ثم أسروا سفينة ثالثة هى "Blessing" وحطموا سفينة رابعة هى "Supply" وفى نهاية كانون الثانى ١٦٥٤ تمكنت خمس سفن هولندية من حرق السفينة الانكليزية "indenvour" وذلك عند شاطىء بندر عباس وأسروا سفينة "Falcon" على حين غرة حين كان جميع بحارتها فى حفلة سكر صاخبة • وهكذا سيطر الهولنديون على مناطق الخليج بصورة كلية وقد أمرت شركة الهند الشرقية وكالاتها فى البصرة بترك المدينة وأخذت الشركة تفكر بضرورة ارسال الحرير الفارسى الى اوربا عن طريق اصفهان وتبريز • وقد اعادت انباء معاهدة السلم بعض الاستقرار فى المصالح التجارية الانكليزية فى شط العرب وفارس •

وفى خلال هذه الفترة كانت قوة الهولنديين البحرية فى مياه الخليج العربى تبعث الهزع والخوف فى قلوب رجال شركة الهند الشرقية

(9) Mahan, A. T, "The Influence of sea Power Upon History". 1889.

الانكليزية ، وكان الاقتراح الذى قدم بشأن تأسيس محطة انكليزية فى مستوى يهدف بالدرجة الاولى الىمقاومة النفوذ الهولندى • ويظهر انالتجارة الهولندية اينعت فى ميناء بندر عباس خلال ١٦٦٤ وأصبح باستطاعة التجار الهولنديين ارسال ثلاث الى أربع سفن محملة بالبضائع سنويا الى ذلك الميناء • وقد وجد الدكتور جون فراير "Dr. John Fryer" [١٠] الذى زار بندر عباس فى ١٦٧٧ بان الهولنديين يسيطرون سيطرة تامة على تجارة التوابلفىفارس وقد ذكرالرحالةالاخير انالتجارة الهولنديةمتضخمة الىدرجة ان الهولنديين احرقوا أربع سفن كانت محملة بالتوابل أمام بندر عباس وذلك حتى يحافظوا على أسعار التوابل من جهة وحتى يرغموا التجار الفرس على قبول تلك الاسعار • وكانت التجارة الهولندية فى الخليج العربى وفارس تتعامل كذلك بالسكر والنحاس • وقد قدر الدكتور جون فراير قيمة الصادرات الهولندية من الحرير والذهب والفضة والسجاد النفيس بمبلغ ٥٠٫٠٠٠ تومان • وكان الهولنديون لا يزالان فى ١٦٨٢ يرسلون سفينتين تجاريتين سنويا الى ميناء بندر عباس[١١] •

وقد حدثت منازعات بين الفرس والوكالة التجارية الهولندية بين والحين وقد قام الاسطول الهولندى فعلا بضرب الحصار على ميناء بندر عباس فى ١٦٨٤ وقد لامت شركة الهند الشرقية فى لندن وكالاتها فى فارس وذلك لعدم اعلامها بهذه المنازعات التى قد تعرض سفن الشركة للخطر • وكان رجال الوكالة الهولندية فى اصفهان خلال ١٦٨٦ مشغولين بشأن احداث شقة بين البلاط الفارسى والوكالة الانكليزية ولكن هذه الاعمال أصابها الفشل وذلك للدور الذى قام به مترجم الشركة الانكليزية الارمنى فى اصفهان وفى تشرين الثانى ١٦٨٥ غادر الرحالة الالمانى الدكتور "E. Kaempfer"، الذى كان قد أتى الى فارس فى ١٦٨٤ كسكرتير للسفارة

(10) The Persian Gulf Gazetteer Secret. Historical. Vol. I. Part. I p. 66.

(11) Fayer, J. "A New Account of East - India And Persia, in Eight Letters. Being Nine Years of Travels." 1698.

السويدية فى البلاط الفارسى ، اصفهان الى بندر عباس حيث التحق بوظيفته الجديدة كرئيس لشركة الهند الشرقية الهولندية فى الخليج العربى وقد مكث فى بندر عباس حتى حزيران ١٦٨٨ ثم ابحر الى باتافيا حيث استعد لرحلته الشهيرة الى اليابان • وقد قام الدكتور Kaempfer [١٢] خلال اقامته فى ربوع الخليج العربى ، وبالرغم من اعتلال صحته ، بدراسات قيمة حول التاريخ الطبيعى لمنطقة بندر عباس • وقد صدر بحوثا حول هذا الموضوع نشره فى "Amoenitatum Exoticarrum Fasciculi" وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية ومن أمتع فصوله فصلين الاول عن زراعة النخيل فى الخليج العربى والثانى عن الاسماك فى مياه بندر عباس •

وقد أخذ النفوذ الهولندى فى اوربا يقل تدريجيا اعتبارا من ١٦٨٨ بالنسبة لانكلترا ، وكانت الدولتان فى تحالف وفى حرب ضد فرنسا وفى نفس الوقت أخذت هولندا تفقد بعض مركزها فى الخليج العربى لصالح انكلترا • وكان الصراع على اشده بين التجار الانكليز والهولنديين حول احتكار تجارة الصناعات الهندية ولكن الانكليز تمكنوا من التغلب على منافسيهم وحصلوا على احتكار تجارة صوف كرمان الشهير[١٣] •

وفى ١٦٩٠ زار سفير هولندى العاصمة الفارسية ، اصفهان ، وعقبه بعثة دبلوماسية وهدايا ثمينة الى الشاه وكان هدفه هو الحصول على فرمان من الشاه يمنح التجار الهولنديين حق احتكار تجارة صوف كرمان ، ولكنه فشل فى مهمته • وفى أثناء رجوعه الى بندر عباس فى ١٦٩١ اتفق مع الشاه بندر ، ممثل الشاه ، ضد الوكالة البريطانية الى درجة تعذر فيها على الانكليز انزال بضائع فى ذلك الميناء مما اضطره الى ارسالها الى اصفهان مباشرة •

وفى ١٦٩٥ حدثت منازعات بين الفرس والعرب فى الخليج العربى

---

(12) The Persian Gulf Gazetteer. Secret. Historical. Vol. I. Part. I. p. 67.

(13) Raynal, T. G. F. "A Philosophical and Political History of the Settlements and Trade of Europeans in the East and West." Translated By J. Ustamonol. 3 Vols. 1782.

وقد هاجم العرب السفن الفارسية فى الخليج بدون انقطاع ولـكنهم كانوا يخافون من تحالف الاسطول الهولندى مع الفرس ، ذلك التحالف الذى لم يكتب له الولود • ولـكن الهولنديين كانوا يملـكون الحق لاستيراد بضائع تبلغ قيمتها ٢٠٫٠٠٠ تومان كل سنة الى اصفهان بدون ضرائب ، مقابل كميـــة تبلغ قيمتها ٥٠٠٠ تومان الى الانكليز • وفى ١٦٩٧ حاول الانكليز جذب الشاه الى جانبهم فعوضوا عليه السفينة « شارل الثانى » لاجل حمل سفير فارسى وحاشيته الى بلاط امبراطور المغول فى الهند • وكما ذكرنا سابقا فان التجار الهولنويين ، الذين كانوا فى السابق قد حصلوا على حق احتكار تصدير الحرير من فارس بطريق البحر ، احتجوا بقوة فى ١٦٩٩ ضد قيام الفرس بتسديد مدفوعاتهـــم من حصتهم مع الانكليز فى مكوس بندر عباس • ولا نعرف عما اذا كان هذا الاجتماع قد انتج بعض التوفيق ولـكن الهولنديين نجحوا فى جلب الشاه بندر الى جانبهم وربطوا مصيره بمصالحهم وقد تلاعب الاخير بمكوس ميناء بندر عباس ودفع مبلغ ١٫٣٠٠ تومان الى الوكالة الهولندية على حساب الوكالة الانكليزية دون ان يكون له حق فى ذلك •

ويمكن اعتبار زيارة الشـــاه فى تموز ١٦٩٩ الى الوكالة التجارية الانكليزية فى اصفهان ضربة قاضية فى ظهر النفوذ الهولندى ، وقد انتجت تلك الزيارة تبدل سريع فى موقف الشاه بندر الذى قام باعطاء تعليمـــات مشددة بعدم السماح للسلطات الهولندية ببناء قلعة عسكرية فى بندر عباس • وبالرغم من التماس الوكالة الهولندية بان يشملها عطف الشاه بزيارة مماثلة ولـكن الشاه رفض القيام بهذه الزيارة • وقد اعلم الشاه الوكالة الهولندية بان انضمام هولندا تحت عرش وليم اورنج يعنى ان هولندا لم تعد دولة لانها ليست لها سيادة • وكان العامل الاخير من أهم العوامل التى دفعت الشاه الى تغيير اهتمامه من الوكالة الهولندية الى الوكالة الانكليزية • وقد قدم الهولنديون آخر عروضهم الى الشاه فى ١٧٠٥ عندما ازدادت غارات القراصنة العرب ضد السفن الفارسية ولـكن هذا العرض رفض من قبل الشاه الذى فضل التعارف مع الاسطول الانكليزى •

كان الهولنديون فى بداية الربع الثانى من القرن الثامن عشر يملكون وكالات فى بندر عباس والبصرة • وقد امتازت العلاقات الهولندية مع الامارات الفارسية بالتوتر المستمر نتيجة لسوء المعاملة التى كان الامراء ورعاياهم يلاقونها على أيدى الهولنديين • وهؤلاء كانوا يميلون دوما الى الانكليز • والهولنديون من التجار والمستعمرين كانوا يحترمون ويخافون قبائل الافغان لمقدرتها العسكرية وهذا ما حدث فعلا فى ١٧٢٨ عندما طلب أمير كابل من الوكالة الهولندية غلق وكالاتها فى مدة لا تتجاوز اسبوعا واحدا •

وكان لميناء بندر عباس الفارسى أهمية خاصة فى اعين الهولنديين • وفى ١٧٣٠ وبوساطة السلطات الانكليزية وافق الهولنديون على الانسحاب من ذلك الميناء الذى كانوا قد اعتبروه منطقة مهمة فى نفوذهم فى الخليج العربى • ومن ذلك الميناء كان الهولنديون يهبون لمساعدة الحملات الفارسية على البحرين وساحل قطر وعمان وفى ١٧٤٠ قام الاسطول الهولندى بمظاهرات عسكرية على اثر الثورات التى قام بها الملاحون الحرب فى بعض قطع الاسطول الفارسى • وفى ١٧٤٤ انضم الهولنديون الى حملة عسكرية أرسلها الشاه تهدف الى القاء القبض على حاكم بندر عباس ولكن هذا التدخل السافر فى الامور الداخلية كان له رد فعل شديد بالنسبة الى السلطات الانكليزية التى أمرت اسطولها فى الخليج بوجوب التوجه الى بندر عباس وتقديم العون الى الحاكم الفارسى الثائر • وقد اعاد الهولنديون تأسيس وكالة لهم فى بوشهر فى ١٧٤٧ وذلك بدعوة من السردار حاكم المدينة وقد سافر Mynheeer Belvelt (١٤) ، احد رجال شركة الهند الشرقية الهولندية فى البصرة ، الى بوشير ومعه توصيات من المقيم الهولندى فى الميناء العراقى • وقد اشتهرت الوكالة الهولندية فى بوشير بتجارة السكر والكشمير والتوابل •

(14) The Persian Gulf Gazetteer. Secret. Historical. Vol. I. Part. I. pp. 128 - 138.

وقد أخذ الهولنديون خلال سنة ١٧٤٨ يبحثون احتمال ترك وكالاتهم في بندرعباس لوصول معلومات الى السفارة الانكليزية في اصفهان مفادها ان الهولنديين يفكرون بارسال حملة بحرية الى جزيرة الخرج ، الواقعة الى الجنوب من الساحل الفارسي ، لغرض الاستيلاء على الجزيرة ونقل الوكالة التجارية في بندر عباس اليها • وحاول الشيخ ، ناصر خان ، زعيم قبائل اللار ، والذي زار بندر عباس في ١٧٥٢ اضعاف مركز الوكالة الهولندية ورعاياها فطلب منهم دفع الضرائب اليه باعتبارها حاكما لفارسستان • وفي نيسان من تلك السنة بذل رجال الوكالة الانكليزية في البصرة جهودا كبيرة لمحاربة التجارة الهولندية وقد تلقوا تعليمات من حلب بوجوب قيام المقيم الانكليزي بكل الوسائل المادية والمعنـــوية لاجل ضرب السوق الهولندية وخاصة بعد استلام الوكالة الهولندية بضائع هائلة من الاطوف من حلب وطرابلس ، وقد حاول الهولنديون استعادة مركزهم التجاري في الخليج العربي وقد وصل الـكومادور الهولندي Mynheer Scondiwoert بندر عباس في ١٠ تشرين الثاني ١٧٥٢ آتيا من باتافيـــا عاصمة جزر الهند الشرقية الهولندية ومعه سفينة اوربية كبيرة وعدد من المساعدين وحرس عسكري واعاد تأسيس الوكالة الهولندية في نفس المـكان الذي كانت عليه • وقد زادت مقاومة العرب على الساحل الشرقي للخليج العربي ضد النفوذ الهولندي وبالفعل هاجم الشيخ عبدالله أمير جزيرة قشم السفينة التجارية الهولندية "Nancey" في ٢٣ نيسان ١٧٥٣ بينمـا كانت تسير بين الجزيرة والساحل الرئيسي ونهب جميع بضاعتها ثم احرقها •

ويعتبر البارون "Kniphausen" [١٥] مسؤولا الى درجة كبيرة عن السياسة الهولندية في الخليج في تلك الفترة • وكان البارون المذكور من النبلاء البروسيين الذين أبلوا بلاءً حسنا في الجيش البروسي وقد انحدر من عائلة بروسية شهيرة في الشجاعة العسكرية وخدم في الجيش الفرسي ثم حط به الرحال في شركة الهند الشرقية الهولندية حبا في المغامرة وأصبح

(15) Saldanah, M. A. "Selections From State Papers" Bombay. No. LXXVI.

معتمدا عاما للشركة فى الخليج العربى واتخذ البصرة مقرا له وظل فيها يشرف على المصالح الهولندية فى العراق وجنوب فارس والبحرين منذ ١٧٣٠ حتى ١٧٥٣ عندما طرده الاتراك فتوجه الى جزيرة « ريج » وهناك اقنع شيخها العربى ناصر بالتوقيع على امتياز لتأسيس وكالة هولندية فى الجزيرة • وما أن استلم ذلك الامتياز حتى ابحر الى باتافيا وهناك تمكن من اقناع رجال شركة الهند الشرقية الهولندية بأهمية احتلال « الخرج » • وفى ٢١ ايلول ١٧٥٣ رست سفينة هولندية وهى « الحظ » فى ميناء بندر عباس بانتظار البارون الذى كان متوقعا من اندنوسيا • وقد وصل البارون فى ٦ تشرين الاول على سفينة هولندية واسعة "Getrouwt" وبقى فى الميناء المذكور يستعد للحملة حتى ١١ من الشهر نفسه وأشاع بانه متوجه الى بوشهر • وقد ابحرت السفينتان الهولنديتان المذكورتان وعليهما الكثير من الرجال والاخشاب وتحف بهما عشرات من السفن الهولندية الصغيرة • وقد بعث الوكيل الانكليزى فى بندر عباس بتعليمات حول الاستعدادات الهولندية السابقة الى السفير الانكليزى فى اصفهان ، وقد ذكر فيها بانه يعتقد ان الهولنديين يزمعون غزو البحرين أو البصرة • ولكن الحملة الهولندية رست عند جزيرة « الخرج » وهنالك بنوا قلعة ، لا تزال اثارها بادية للعيان ، الى الزاوية الشمالية الشرقية من الجزيرة • وقد انضم الى القلعة الهولندية الجديدة الوكيل الهولندى فى بوشهر الذى كان قد تنازع مع الشيخ ناصر حاكم الميناء • ومنذ ان دخل البارون "Kniphausen" جزيرة « الخرج » ظلت علاقاته مع حاكمها الشيخ ناصر متوترة وسبب هذه الخلافات يرجع الى التنازع حول الاجور التى كان على الهولنديين تقديمها الى حاكم الجزيرة مقابل الاحتلال ، وبقى هذا النزاع عدة سنوات • وقد زار الوكيل الانكليزى فى « ريج » "Mr. Wood" جزيرة الخرج فى ١٧٥٦ حيث مكث اسبوعا – من ٧ – ١٥ نيسان – ومن هناك أرسل وصفا دقيقا عن أحوال الجزيرة وعن وضع الهولنديين ، وكذلك خارطة للقلعة الهولندية الى الوكالة الانكليزية فى بندر عباس • وكانت القوة الهولندية فى الجزيرة المذكورة مؤلفة من ٦٠ من الجنود الهولنديين النظاميين و ١٠٠ من العبيد الافريقيين ،

مسلحين بالسيوف والخناجر ، وسفينة كبيرة مجهزة بـ ١٦ مدفعا • اما البضائع فى المخزن الرئيسى فكانت تحتوى على السكر ، وقصب السكر ، والفلفل ، والجلود ، والتوابل من مختلف الانواع ، القصدير والحديد، ومنسوجات من مختلف الانواع • وقد ذكر التقرير السابق ان الهولنديين يستعملون ثمانية سفن صغيرة فى صيد اللؤلؤ وهم يقومون برحلات الصيد بسرية تامة وذلك خوفا من غارات العرب • وكان الهولنديون يفكرون بترحيل القبائل العربية من الجزيرة وجلب ٨٠ عائلة من المستعمرات الهولندية فى الصين • وقد تفائل التقرير بأهمية جزيرة « الخرج » فى مستقبل الخليج العربى من الناحية التجارية • وقد ذكر المستر وود فى معرض تقريره الاخير ان طرده من « ريج » كان بتأثير المؤامرات الهولندية فى جزيرة « الخرج » الذين كانوا يطمعون فى الاستيلاء على جزيرة « ريج » أيضا •

ومن المهم ان نذكر ان الدكتور "Ives" (١٦) زار جزيرة الخرج فى طريق عودته من الهند الى اوربا فى ١٧٥٨ وقد رحب به الهولنديون فى الفترة بين ٣١ آذار – ١٩ نيسان • وكانت الهيئة المشرفة على الوكالة الهولندية فى تلك الفترة تتكون من البارون "Kniphausen" ، رئيس الوكالة ، والمستر "Bosman" الذى كانت ترافقه زوجته الهولندية والمستر "Robingen" ضابط المدفعية (وهو من أصل انكليزى) والمحاسب "Nicoli" والمستر "Binkey" سكرتير البارون • وكانت القلعة على هيئة دائرية الشكل تحتوى على ٣٢ مدفعا وعلى بابها المواجه للبحر ١٢ مدفعا • وكانت الحامية تحتوى على ١٠٠ من الجنود الاوربيين(١٧) •

وكان البارون مولعا بالرحالة الانكليز على وجه الخصوص وذلك رغبة منه فى اقناعهم بالسفر الى حلب عن طريق الكويت ، وكان شيخها على صلة بالبارون • كما كان معجبا بالاختراعات الانكليزية البحرية وقد طلب من الدكتور "Ives" شراء مكتبة له وكذلك بعض الادوات والآلات

(16) Dr. Ives' Journeys' From Persia to England. 1773.
(17) The Island of Kharak. Asiatic Joural. Sept. 1838.

العلمية • وقد ظل البارون فى جزيرة « الخرج » حتى سنة ١٧٥٩ عندما غادرها الى « باتافيا » وخلفه المستر "Van der Hulset" الوكيل الهولندى فى البصرة • وفى خلال فترة حكم الاخير البالغة سنتان ونصف استمرت الحرب بين الهولنديين وشيخ جزيرة « ريج » العربية ، وكان يحكمها الشيخ مهنا • وقد قام الشيخ العربى الاخير بغارة على جزيرة الخرج فى ١٧٦٠ ومعه ١٠٠ من الرجال المسلحين بالسيوف ولكن مدافع القلعة اجبرته على الانسحاب متقهقر متخفيا بين صخور الساحل الى قواربه بعد ان اجبرته على الانسحاب متقهقراً متخفياً بين صخور الساحل الى قواربه بعد ان نهب واحرق سفينتين هولنديتين تجاريتين وصلتا حديثا من اندنوسيا • وقد وصلت انباء الحملة الاخيرة الى اسماع السلطات الهولندية فى باتافيا فاصدر الحاكم الهولندى العام مرا الى "Van Der Hulset" بوجوب السفر تواً الى اندنوسيا لاجل تفسير الظروف التى ادت الى الغارات العربية المتكررة ولكن الاخير ترك سفينته فى بندر عباس وطلب من الانكليز اعتباره لاجئا سياسيا ورجع الى اوربا عن طريق بمباى • وقد خلفه فى حكم جزيرة « الخرج » المستر "Buschman" الذى كان احد أعضاء الوكالة فى الجزيرة سابقا وقد اشتهر فى كتابات الرحالة الهولندى الشهير نيبور "Niebuhr"[١٩] ويمتاز حكمه بعلاقات طيبة مع العرب وخاصة مع الشيخ مهنا شيخ جزيرة « ريج » • وقد أرسل الشيخ مهنا وفدا بحريا للتفاوض حول بعض الامور مع تعليمات بالاستيلاء على القاعدة الهولندية اذا ما سمحت الظروف بذلك ، ولكن الحاكم الهولندى كان أكثر نباهة من الشيخ العربى فاصدر أوامره الى جميع القطعات الهولندية البحرية بلزوم استقبال الوفد العربى بمظاهرة حربية ، وهكذا خرج الاسطول الهولندى بكامل عدته وفاتت على الشيخ مهنا الفرحة التى كان يحلم بها •

— وقد استمرت الوكالة الهولندية فى بندر عباس بعد خمس سنوات من

---

(18) Niebuhrs' Five Letters From A Free Merchant in Bengal. 1777. pp: 146—52.

(١٩) كذلك

Niebuhrs' Description de L' Arabie, 1774.

تأسيس الوكالة فى جزيرة « الخرج » وكانت قد دخلت فى منافسة جدية مع الوكالة الانكليزية فى تجارة أصواف كرمان وكانت الوكالة الهولندية تدفع ١٠ شاهات أكثر مما تدفعه الوكالة الانكليزية للبالة الواحدة • ولكن الانكليز أخذوا يقلدون المنسوجات الهولندية بأخرى تصنع فى انكلترا فقلت أثمان المنسوجات الهولندية فى اوربا نفسها • وهكذا غادر آخر رجال الوكالة الهولندية ميناء بندر عباس الى جزيرة « الخرج » فى شباط ١٧٥٩ تاركين الميناء الفارسى بيد الاحتكارات الانكليزية التى بدأت تلاقى منافسة جديدة ممثلة بالاسطول الفرنسى ابتداءً من ١٧٦٠ •

— وكانت المقاومة العنيفة التى ابدتها التجارة الانكليزية وابداها الاسطول الانكليزى فى الخليج العربى وفارس من العوامل المهمة التى اخضعت النفوذ الهولندى فى تلك الاصقاع • أضف الى ذلك ظهور منافس قوى وهو فرنسا • وهكذا كان على النفوذ الهولندى ان يزول بعد ١٣٠ سنة من النشاط التجارى والعسكرى • وفى نفس الوقت زاد اهتمام الانكليز بالهند وأخذ الهولنديون يفكرون بلزوم الانسحاب من الهند والخليج العربى الى قاعدتهم الرئيسية فى جنوب شرق آسيا وهى اندنوسيا التى بقيت فى ايديهم الى منتصف القرن العشرين كما بقيت القارة الهندية بيد الانكليز نفس المدة تقريبا •

وقد انسحب الهولنديون من البصرة فى ١٧٥٢ ومن بوشهر فى ١٧٥٣ ومن بندر عباس فى ١٧٥٩ ولم تبق الا جزيرة « الخرج » تحت حكمهم المباشر حتى ١٧٦٥ بالرغم من الاموال الهائلة التى صرفتها شركة الهند الشرقية الهولندية على بناء القلاع والتحصينات • وقد تمكن الشيخ العربى مهنا حاكم جزية « ريج » من الاستيلاء على قلعة الخرج فى ١٧٦٥ وطرد الهولنديون وضم الجزيرة الى حكمه وبذلك حقق الآمال التى كان يهدف اليه من عشرين سنة خلت • وفى الوقت الذى ركز فيه الاستعمار الهولندى على جزر اندنوسيا كان الانكليز قد وضعوا أقدامهم فى الهند واعتزموا السيطرة على الخليج العربى مفتاح الهند •